المنهج النبوي في التأسيس للمدنية والتطور الحضاري

ثامر حتاملة /Thamer HATAMLEH *

Geliş Tarihi: 05.09.2018, Kabul Tarihi: 28.11.2018

الملخص

تميَّز النبي صلى الله عليه وسلم بقيادة الدولة النبوية بعد الهجرة، وبناها بشكل سريع على المستويات كافة؛ وذلك من خلال فهمه الصحيح للوحي والمقاصد العليا في الإسلام، حيث تُعدُّ إدارة الدولة وإدارة أعمالها والسعي إلى تقدُّمها وتطورها مِنْ أهمِّ الأمور التَّي يُعنَى بها قادةُ الدُّول، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد تميَّز في زمنه في إدارة الدولة وتنْمية أعمالها؛ حتى أمست الدولة الإسلامية في عهده صلى الله عليه وسلم تنافس الدول الكبرى التي سَبَق وُجودها وُجود الدولة النبوية، ثمَّ أصبحت من الدول المتمكِّنة في المنطقة، والمتقدمة في نواحي الحياة كافَّة (اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً)، حيث يقوم المنهج النبوي في السعي إلى المدنية والتطور الحضاري (المادي والمعنوي) على عِدَّة مبادئ مستمدة من النصوص الشرعية، وجاء هذا البحث لبيان المنهج النبوي وبعض التطبيقات الحضارية في هذه المبادئ من خلال الفهم الصحيح للإسلام والنصوص الشرعية، وكيفيَّة تطبيقها في نواحي التقدم المدني والحضاري في الدَّوْلة النَّبويَّة.

الكلمات المفتاحية: المنهج النبوي الحضاري، الحضارة النبوية، التطور الحضاري النبوي، المدنية في الإسلام.

* Doç. Dr., Bingöl Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Hadis Anabilim Dalı, (samirhatemle@gmail.com).

Medeniyetin İnşası ve Uygarlığın Gelişmesinde Nebevi Metot

Öz

İslâm devletinin ilk lideri olan Hz. Peygamber (s.a.v.) Medine'ye hicret ettikten sonra ilk iş olarak devletin bütün düzeylerini hızlı bir şekilde inşa etti. O, bunu vahyin metinleri olan (Kur'an ve sünneti) bir de İslâm'ın yüce hedeflerini doğru anlaması doğrultusunda gerçekleştirdi. Öte yandan devlet yönetimi, devlet işlerinin idaresi, onun gelişip ilerlemesi konusundaki çabalar devlet başkanlarının ilgilendikleri en önemli konulardır. Hz. Peygamber (s.a.v.) yaşadığı dönemde devlet yönetimi ve devlet işlerinin kalkınmasıyla öne çıkmıştır. İslâm devleti, onun (s.a.v.) döneminde daha önce kurulan büyük devletlerin seviyesine gelmiştir. Ardından bölgede köklü devletlerin; dünyada ise (sosyal, ekonomik, siyasal ve askeri) açılardan gelişmiş ülkelerin seviyesine çıkmıştır. Hz. Peygamber'in (s.a.v.) medeniyeti kurma çabasıyla (maddi ve manevi) uygarlığı geliştirmesi, vahiy metinlerinden çıkartılan bazı ilkelere dayanmaktadır. Bu çalışmada; vahye dayanan İslâmî metinlerin doğru anlaşılmasıyla ortaya çıkan mezkûr ilkeler açıklanacak ve İslâm devletinde medeniyetle uygarlığın gelişmesinde nasıl uygulandığı ortaya konulacaktır.

Anahtar Kelimeler: Uygarlığın nebevi metodu, Nebevi uygarlık, Nebevi uygarlığın gelişimi, İslâm'da medeniyet.

The Prophetic Method at the Counstruction and Improvement of Civilization

Abstract

Prophet Mohammad (Peace Upon Him) was preeminent in leading the prophetic state after the migration (Hijrah); he formed the state rapidly at all spheres through his genuine perception of the revelation (Wahy)- Sunneh&Quranic texts and the higher of legal objectives of Islam; administration the state, running its affaires , seeking its progress and its development are considered the main aspects state leaders attend to. Prophet – peace upon him- was distinguished in his era through his administration the state and developing its affaires; consequently the Islamic state became one of the great powers preceded the it ; Islamic state became a well versed and prosperous state in the region in all life fields (socially, economically, politically and militarily) upon the Prophetic Approach striving for civilization and civilizational development (intangible& moral) build on various principles derived from (Sharia) texts ; this research tends to demonstrate the Prophetic Approach related to these principles through righteous perception of Islam and Sharia texts and apply them at civilian progress in the Prophetic state

Keywords: Civilian prophetic approach, Prophetic civilization, Prophetic civilizational development, Civilization in Islam.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

إنَّ المَدَنيَّة جزء من التطوُّر الحضاري؛ وهو من مرتكزات بقاء أيِّ أمَّة ونجاحها، ثم امتدادها زمانياً ومكانياً، ولقد تميَّزت الحضارة النبوية الإسلامية بمظاهر التمدُّن والتطوُّر مقارنة بالدول المجاورة، منذ نشأة الدولة في المدينة المنورة؛ وذلك من خلال سرعة بناء الدولة على قواعد وأسس قوية راسخة، مثل بناء المسجد (للعبادة وإدارة الدولة)، والمؤاخاة في المجتمع (للبنية الاجتماعية)، وإنشاء السوق (للاستقلال الاقتصادي والتجاري)، وصناعة السلاح وبعض احتياجات المجتمع الأخرى، ثم في مختلف نواحي الحياة كافة، انطلاقاً من مقاصد الشريعة في السعي إلى استقلالية الدولة وقوتها، ومن خلال فَهم الإسلام وتطبيقه العملي بشكل صحيح.

ويمكننا رؤية ذلك من خلال الاستشهاد من سيرته صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأقواله التي تتمظهر فيها بعض مظاهر الحضارة والمدنية بالنسبة إلى زمنه صلى الله عليه وسلم، ثم نرى مدى عنايته صلى الله عليه وسلم بالتطوُّر والحضارة، وتطبيقها بشكل عملي؛ من خلال إرسائه صلى الله عليه وسلم قواعد بناء الدولة وقواعد الحضارة والمدنية، مما يمكن تطبيق هذا النموذج في زماننا.

مشكلة البحث وأهدافه

تنطلق إشكالية البحث في بعض الدعوات التي نسمعها في مجتمعاتنا من رجعية الإسلام وعدم قدرته على مواكبة التطور، ويمكننا تلخيصها بالآتي: ادِّعاء بعض أصحاب الشبهات أنَّ الإسلام دين لا يمكن أن يواكب العصر وتطوراته ومتطلباته، ويؤخِّر الدُول ويمنعها من التقدُّم والرُّقي، للوصول إلى مصافِّ الدول المتحضِّرة المعاصرة، مما يوجب علينا فصل الدين عن الحياة العملية عن السياسية، ويمكن هنا طرح تساؤلين:

- ما هي التطبيقات العملية المرتبطة بهذا الموضوع من فعله صلى الله عليه وسلم في حياته؟
- هل يمكننا أن نفهم تلك النصوص ونجعلها تجربة صالحة للتطبيق لواقعنا المعاصر؟.
- هل يعارض الإسلام التطور الحضاري في نواحيه كافة؟

الدراسات السابقة

زخرت المكتبة الإسلامية بالأبحاث حول الحضارة الإسلامية والمدنية، ولكن يختلف هذا البحث عمَّا سبقه من خلال سياق التطبيقات العملية من نصوص السنة النبوية، وأحداث السيرة

النبوية، ولعلَّ كتاب (التراتيب الإدارية) عبد الحي الكتاني؛ هو أفضل كتاب يقدم مادةً أوليَّة لمثل هذه الأبحاث، لكنه لم يهدف إلى بيان مسألة التقدُّم والحضارة، إنما توسَّع لبيان مظاهر الإدارة عموماً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء بحث (من معالم الحضارة والمدنية في الدولة النبوية–قراة في فكر الكتاني في كتابه التراتيب الإدارية) للدكتور أحمد محمد زايد؛ كدراسة تطبيقية لبعض المعالم الحضارية من خلال كتاب ''التراتيب الإدارية'' للكتاني، ولعل كتاب د.أحمد زايد هو أوفاها، مع اقتصاره على كتاب التراتيب الإدارية فقط، وبحثي جاء أشمل، ومن ناحية حديثية وتاريخية من السيرة النبوية، ثم كتاب (الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم) حافظ أحمد الكرمي، وهو كتاب جيد في مسألة عرض نماذج الإدارة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الكتابين: جاءت بعض نماذج للإدارة عموماً، ولم يهدف إلى ردِّ الشبهات حول مسألة عدم مواكبة الإسلام لمظاهر التطور، وما يدَّعيه البعض من وجوب فصل الدين عن الدولة، كما لم تكن الدراستين موجهة لتسليط الضوء على الحضارة والمدنية في العهد النبوي، وفي بحثي سأقوم بمحاولة بيان التطبيقات النبوية للتحضر والمدنية في شتى المجالات، ثم التدليل على قدرة الإسلام على مواكبة التطورات المدنية والحضارية، من خلال النماذج النبوية على ذلك.

منهجي في البحث: نظراً لطبيعة الدراسة سلكت في بحثي المنهج الاستقرائي في جمع النصوص، ثم اخترت بعض الأدلة وأقربها إلى الاستشهاد به؛ وذلك لحجم الدراسة، ثم من خلال المنهج التحليلي قمتُ بتحليل هذه النصوص وتطبيقاتها للخروج بدراسة علمية تطبيقية من السنة النبوية، وفي الاستشهاد بالأحاديث وأحداث السيرة النبوية: استشهد بالحديث المقبول عموماً، وما يصلح الاحتجاج به في ميدانه.

أهداف البحث : جاء هذا البحث لعدة أهداف، وأذكر هنا أهمها كالآتي:

١. بيان أنَّ الإسلام يسعى إلى التطور الحضاري الذي يسهِّل للإنسان مهمته على الاستخلاف في هذه الدنيا، وعدم التكاسل في السعي إلى كلِّ أمرٍ فيه تقدم وتطور يخدم الإنسانية جمعاء، وذلك من خلال: فهم النصوص الشرعية بشكلٍ صحيح، والمنهج النبوي الذي اتَّخذه نبينا صلى الله عليه وسلم في حياته.

٢. يطرح البحث بعض الأفكار التي قد تُغيِّر فَهم بعض الحكومات والجماعات والأفراد للنصوص الشرعية، مما أدَّى إلى تأخر الأمة الإسلامية في كثير من النواحي المادية والمعنوية.

٣. بيان أن النبي صلى الله عليه وسلمكان وما زال النموذج الذي يحتذى به في الحث على التطور والمدنية في زمنه صلى الله عليه وسلم ضمن الإمكانيات المتاحة له آنذاك، انطلاقاً من قواعد الإسلام والنصوص الشرعية.

المطلب الأول: المدنية والتحضر في القرآن والسنة.

يظن البعض أن مسألة التحضر والمدنية جاءت طارئة على المسلمين في العصور المتأخرة، وهذا الظن بعيد عن الواقع التطبيقي الذي أثبتته بعض الكتابات مثل كتاب: (تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية)، علي بن محمد ابن ذي الوزارتين، الخزاعي (المتوفى: ٧٨٩هـ)، وهو كتاب يرصد حركة التطور والمدنية في زمن النبوة، ومن هنا سأنطلق للوقوف مع بعض مظاهر الحضارة والمدنية ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم في تأسيسها.

وقبل الشروع في بيان المنهج النبوي في المدنية والحضارة لا بدَّ هنا من ضبط مصطلحي «التمدُّن والتحضُّر» ثم البحث في تطبيقاتهما في السنة النبوية.

أولاً: تُطلق كلمة المَدَنيَّة لغةً على معانٍ عدَّة؛ فتُطلق على التقدُّم والفَهم، فيُقال: ابن مدينتها: أي رجل فاهم للأمر، ويطلق على بناء الشيء، وتطلق على ظهور النعمة الأخذ بأسباب الحضارة، فيقال: تمدَّن الرجل[١]، واصطلاحاً يمكننا تعريفها بالآتي المَدَنيَّة: «الجانب المادِّي من الحضارة؛ كالعمران ووسائل الاتّصال والتّرفيه، يقابلها الجانب الفكريّ والرُّوحيّ والخلقيّ من الحضارة»[٢]، واخترتُ هذا التعريف بناء على جمع التعريفات اللغوية.

ثانياً: التحضُّر: كلمة تطلق لغة على الحَضَرُ خلافُ البَدْوِ، قال ابن منظور: «والحاضِرُ خلاف البادي وفي الحديث (لا يَبِعْ حاضرٌ لباد)[٣] الحاضر المقيم في المُدُن والقُرَى والبادي المقيم بالبادية، والحضارَةُ الإقامة في الحَضَر، والحَضَرُ والحَضْرَةُ والحاضِرَةُ خلافَ البادية وهي المُدُنُ والقُرَى والرِّيفُ، سُمِّيتَ بذلك لأَنَّ أَهلها حَضَرُوا الأَمصارَ ومَساكِنَ الديار التي يكون لهم بها قَرارٌ»[٤]، وجاء في المعجم الوسيط: «هي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني ومظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر، واصطلاحاً يمكننا استخلاص التعريف بالآتي التَّحضُّر: هي مظاهر التطور الإنساني في الجانب المادي والمعنوي»[٥].

---

١ الزبيدي، محمد بن محمد مرتضى، تاج العروس، دار الهداية، مصر، ط١، (ج٣٦/ ١٥٧-١٥٨)/ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، (ج٢/٨٥٩)، مادة (مَدن).

٢ وهذا التعريف وجدتُ موقع المعاني اعتمده، وهو تعريف أقرب للواقع برأيي: https://www.almaany.com /

٣ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البُغا، دار ابن كثير، دمشق، ط١، كتاب البيوع، كتاب لا يبيع على بيع أخيه، حديث٢٠٣٣.

٤ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط١، (ج٤/١٩٦)، مادة (حَضَر).

٥ إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، (ج١/١٨١)/ وعرفها د.مطفى السباعي نقلاً عن غيره: نظام اجتماعي يُعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، ينظر: السباعي، مصطفى، من روائع حضارتنا، المكتب

ومن خلال ما سبق نجد أنَّ المدنية والحضارة مفاهيم عامة تُبيِّن مدى تقدم الأمم مادياً ومعنوياً، ومن خلالها يُقاس به تقدُّم الأمم وخدمتها للبشرية، وهذا ما تميّزت به الأمة المحمدية على ما سنبينه في هذا المقام.

لا شكَّ أنَّ الحضارة والمدنية تتألف من أربعة مرتكزات عامة؛ وهي: الموارد الاقتصادية وتنميتها، النظم السياسية، التقاليد الخلقية، متابعة العلوم والفنون، وحين ننظر إلى منجزات أيِّ أمَّة وأثرها في الإنسانية عموماً، وعلى أفرادها خصوصاً لا بدَّ من تقييمها من خلال هذه المرتكزات ومدى تأسيسها والعمل من خلالها، وليس المقصود هنا: البحث عن مدى وجود قوانين أو دساتير مكتوبة بقدر ما هو البحث عن عملٍ واقعي ملموس، فالأمم السابقة لم تكن تهتمُّ بالتخطيط والتقعيد والتخطيط للمستقبل، إنما كان العمل آنياً وابن لحظته، فإذا استجدَّ لهم جديد بحثوا على حلٍّ لهذا الأمر، ولكن أوامر الوحي (القرآن والسنة النبوية) اختلفت عن الأمم السابقة بأنْ جعلت التقدم والحضارة أمراً مربوطاً بالدين، ثواباً وعقاباً، فالناظر إلى كثير من النصوص الشرعية يجدها تحثُّ على التقدم والرقي الحضاري؛ إمَّا من خلال سياق القصص للأمم الناجحة التي قادها أنبياء الله، أو من خلال أوامره وتوجيهاته للأمة الإسلامية بالبناء والقيام بواجب الاستخلاف وعمارة الأرض؛ ابتداء بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة/٢/ ٣٠]، قال ابن كثير في بيان معنى الخليفة: وليس المراد ها هنا بالخليفة آدم –عليه السلام– فقط[٦]، إنما جنس بني آدم يخلف بعضهم بعضاً في العمران والبناء، فالإنسان المؤمن بالله هو خليفة الله في أرضه، فقد جاءت آيات كثيرة تبيِّن وظيفة الإنسان في الأرض؛ منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾[الأنعام/٦/ ١٦٥] وقال ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل/٢٧/ ٦٢]، وقال تعالى على لسان نبيِّه صالح في مَعرض امتنانه على الناس وواجبهم في عمارة الأرض: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود/١١/ ٦١]، فمفهوم الخلافة والعمارة أمر ربَّاني افترضه الله على الأمم وأمرنا به، ثمَّ نهى الله تعالى عن الفساد والإفساد في كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة/٢/ ٢٠٥]، وقال : (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة/٢/٦٠]، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا] ﴾ الأعراف/٧/ ٥٦]، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة/٥/ ٦٤]، وقد حرم إراقة الدماء بغير حق كما حرم الاعتداء على الممتلكات الخاصة

الإسلامي، الرياض، ط١، ١٩٩٩م، ص٦٩.

٦ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر، ط٢، ١٩٩٩م، (ج١/ ٢١٧).

أو على مالكيها بغضِّ النظر عن الجنس أو العرق أو الدين، وغيرها من الآيات التي تحوي على مفاهيم حضارية ومدنية تنهى عن الفساد والإفساد، كما تدعو -بمفهوم المخالفة- إلى الإصلاح والعمارة.

وفي القرآن الكريم كثير من الآيات تبيِّن الحضارة والمدنية عند الأنبياء السابقين مثل داود وسليمان عليهما السلام؛ منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ/٣٤/ ١٠-١٣]، فالسُّنة النَّبوية التي هي شارحة أو مبيِّنة أو مؤكدة لأوامر القرآن الكريم مادياً ومعنوياً وتطبيقاً لما جاء في القرآن من مدح الحضارة والتقدم، في سياق الحفاظ على دماء الناس وأموالهم والبيئة الطبيعية وما فيها من حيوان وطير ورَدَت جملة من نصوص الوحي تؤكد هذه المعاني، كقوله صلى الله عليه وسلم: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ)[٧]، وينبه بعض الباحثين إلى سبق الإسلام إلى المناداة بمفهوم المحميات الطبيعية بصورة أكثر شمولا مما تعارفت عليه البشرية اليوم، من حيث إنّه لا يقتصر على حماية الطير أو الحيوانات فحسب، بل يشمل أموراً كثيرة؛ مستشهداً لذلك بجعل الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة المنوّرة محمية طبيعية؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم : (اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا أَنْ لاَ يُهَرَاقَ فِيهَا دَمٌ وَلاَ يُحْمَلَ فِيهَا سِلاَحٌ لِقِتَالٍ وَلاَ يُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلاَّ لِعَلْفٍ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِى صَاعِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِى مُدِّنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِى صَاعِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ)[٨].

الإسلام حارب السلبية في كل مظاهرها وسحب عنها كل مبررات الشرعية؛ فبدَّع الترهب والاعتزال والانسحاب من الحياة العامة، وضاعف الأجر بالعمل، وحث على الضرب في الأرض والمشي في مناكبها، وحذر من الطرق المؤدية إلى تبديد الحضارات وتلاشي عمرانها وهلاك

٧ البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبيρ: ربَّ مبلغ أوعى من سامع، حديث٦٧.

٨ مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، كتاب الحج، حديث ٤٧٥.

الأمم، كذلك جعلت تشريعات الإسلام إعمار الأرض المهملة سبباً مباشراً لتملكها في ما يعرف عند الفقهاء بإحياء المُوات، وحرمت تقطيع الأشجار أو حرقها إلا لضرورة مُلِحَّة، وفرع الفقهاء حديثا – استناداً لأصول الشريعة وضوابطها – أنه لا يجوز استخدام الأسلحة الكيمائية والجرثومية والنووية لما تُحْدثه من دمار شامل على مساحات واسعة تطال آثاره كل إنسان؛ دون تمييز بين مقاتل وغير مقاتل، وتُهلك الحيوان، والنبات، وأضرارها تبقى أجيالا عديدة، ولأنها تهلك الحرث والنسل وتفسد في الأرض. [٩]

صفات الحضارة الاسلامية: من خلال النصوص الشرعية من القرآن والسنة النبوية يمكننا أنْ نستخلص صفات الحضارة الإسلامية التي سعى الإسلام إلى بنائها، وظهرت عملياً في التطبيق النبوي، وهذه الصفات والمنطلقات كالآتي:

١. قامت الحضارة والمدنية الإسلامية على العقيدة والإيمان بالله، فالحضارة الإسلامية هي أول حضارة قامت على الوحدانية، وأنَّ الأمر للإله الواحد، وهو الحكيم العادل العليم، الذي لا يأمر إلا بما هو خير للبشر والخلق أجمعين، على عكس الأمم الأخرى التي تؤلِّه الملوك والأشراف والكبراء، فيعيثون في الأرض فساداً، كلٌّ حسب مصلحته، فربما تُهدم مُدُن وأُمم قامت خلال آلاف السنين لأجل نَزْوة إنسان، أو طمع آخر، فالناظر إلى الحضارات التي سبقت الإسلام يجدها تُعظِّم الأشخاص، وتُقيم لهم التماثيل، وإنْ كانوا قتلة، لا يسلم منهم الحجر ولا الشجر، عدا عن البشر، والوحدة في الإسلام التي تنطلق من التوحيد تتمظهر في: الوحدة في العقيدة، والوحدة في التشريع، والأهداف العامة، والوحدة في الإنسانية، فلا فرق بين أبيض ولا أسود، ثم الوحدة في الاستخلاف والعمل وبناء الأرض، وهكذا في كلِّ ما ينطلق من مبدأ عقيدة التوحيد.

٢. الإنسانية، فالحضارة الإسلامية هي حضارة إنسانية عالمية، لا تختصُّ بقَوم ولا عرق ولا لُغة، إنما هي فكرةٌ وعقيدةٌ، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات/٤٩/١٣]، فالحضارة والمدنية الإسلامية قام على بنائها علماء من كلِّ الأعراق والشعوب، وإذا نظرنا إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوله نجد أبا بكر القرشي العربي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وباجان الكردي، وفي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ،

٩ ينظر : Maabdeh, Yahya . "Hz. Peygamber'in Nübüvvet Öncesi Hayatının Delil Oluşu (İslam Hukukunda)". Universal Journal of Theology 3 / 1 1-15

ولد خيري، محفوظ، عمارة الأرض في الإسلام، إسلام ويب، منشورة بتاريخ: ٢٠١٣/١١/٧م.

إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ)[١٠].

٣. **مراعاة المبادئ الأخلاقية**: فالحضارة الإسلامية راعت المبادئ الاخلاقية في التشريعات كافَّة، ولم تتنازل عنها لأي شخص، فقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم قاعدة خالدة لأمَّته في مساواة أفراد المجتمع أمام المنظومة الأخلاقية والقانونية التي تنظم المجتمع فقال: (فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)[١١].

٤. **قائمة على الحث على البحث العلمي والتطوُّر**: فالإسلام دين قائم على البحث والعلم، والعقيدة الإسلامية لا تُعارض العلم الصادق المبني على قواعد وأصول؛ بل تشجعه وتحثُّ عليه، ففي أول آيات نزلت على نبيناصلى الله عليه وسلم جاء فيها: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق/٩٦/ ١-٤] والناظر إلى هذه الآيات يجد فيها حثًّا على العلم والقراءة، ثم بيَّن فيها بعضاً من علم الأجنَّة ومراحل خلق الإنسان، ثم ذكر القلم الذي هو أداة بثِّ العلم وتقييده، وكثير من آيات كتاب الله نجد فيها الحديث عن علم الجيولوجيا والجبال والأرض ثم الرياح والبحر، وعلم الأجنة ومراحل خلق الإنسان، وغيرها؛ فالحضارة الإسلامية قامت على الحق والعدالة، والعقيدة والأخلاق دون أن يقف الدين عائقاً أمامها، واكتشافات العلماء المسلمين شاهدة على ذلك: فابن خلدون في علم الاجتماع، وابن سينا في الطب الذي يُعدُّ كتابه (القانون في الطب) من

---

١٠ ابن حنبل، أحمد، المسند، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط١، باقي مسند الانصار، (ج٥/٤١١)، حديث٢٣٥٣٦، والحديث قال عنه الهيثمي: رجاله رجال الصحيح/البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣، ط١، حديث ٤٧٧٤، قلتُ (الباحث): والحديث جاء في رواية البيهقي عن جابر، وفي رواية أحمد عن بعض الصحابة، وقال الطبراني: ''لم يرو عن الجريري إلا أبو المنذر الوراق''، ولكن وجدتُ له متابعاً من طريق البيهقي من رواية شيبة أبو قلابة قال: ''أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، ثنا محمد بن عثمان بن ثابت الصيدلاني، ثنا محمد بن الفضل بن جابر السقطي، ثنا العلاء بن مسلمة الهذلي البصري، ثنا شيبة أبو قلابة، عن الجريري به»، كذلك تابعه إسماعيل بن إبراهيم في معجم شيوخ ابن عساكر قال:» أخبرنا كثير بن سعيد بن عبد الله بن الحسين بن إسحاق أبو عبد الله بن شماليق الوكيل بقراءتي عليه ببغداد أبنا أبو عبد الله الحسين عن أحمد بن محمد بن طلحة النعالي أبنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مهدي ثنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي إملاء ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي ثنا إسماعيل بن إبراهيم ثنا سعيد الجريري به»(حديث١٠٤٥)، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري (حديث١١٧٦٢) وحديث أبي هريرة (حديث٨٧٣٦) في مسند أحمد، فالحديث يرتقي إلى الحسن إن شاء الله.

١١ البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد الفتح، حديث ٤٠٥٣.

أهمِّ المراجع في تاريخ البشرية الذي صَنَّف ووضع قواعد علم الطب، وعلم الوظائف، والمعالجة، وعلم الصحة والرازي في كتابه (الحاوي) الذي يُعدُّ من أضخم مراجع علم الطب وأوسعها في التاريخ، وما زال الخوارزمي أول من صنَّف في علم الجبر والرياضيات، وغيرهم كثير، ويشهد لعلماء المسلمين القاصي والداني في إبداعهم في العلم التجريبي[١٢].

٥. **التسامح الديني**: فالإسلام لا يُجبر على اعتناق الإسلام كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة/٢/٢٥٦]، فالإسلام دين يقوم على تَقَبُّل الآخر من غير المسلمين، بشرط أَن يُسمح له بتبليغ الناس رسالته، والإنسان يقرر بعد هذا البلاغ ماذا يريد، وفي الآخرة يتحمل نتيجة اختياره، ويسمح الإسلام لغير المسلم بممارسة شعائر دينه، بل ويجوز لغير المسلم أن يتزوج من غير المسلمة، ويعيش معها في بيت واحد، ويسمح لها بممارسة شعائر دينها.

فالنبي صلى الله عليه وسلم ما جاء إلا رحمةً للعالمين جميعاً، يحفظ دماءهم وأموالهم وحقوقهم، وتأصيلاً لذلك قال صلى الله عليه وسلم: (إنما بُعثتُ رحمة مُهداة)[١٣]، وله شاهد من رواية مسلم في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم: (وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ)[١٤]، وقد نَعَته الله تعالى بقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة/٩/١٢٨]، وتتجلَّى مظاهر رحمته ورأفته بالناس في الحرب أنَّه ساوى بين الناس جميعاً في السِّلم والسَّلام قبل الحرب وأثنائها وحفظ دماءهم وأموالهم وأعراضهم وبيوتهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وضع القواعد وحريات وحقوق المواطنين قبل أكثر من ١٤٣٠ سنة، في حين وضع العالم الحديث الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م، عقب ويلات الحربين العالميتين وموت ملايين الناس فيهما.

---

١٢ للمزيد ينظر: عليان، شوكت محمد، الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، دار الشواف، الرياض،ط٢، ١٩٩٦م، ص١٨٥ وما بعدها.

١٣ البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، البحر الزخار، تحقيق: محفوظ زين الرحمن، مكتبو العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١٩٨٨،١ م، (ج١٦/١٢٢) حديث٩٢٠٥/الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٩٠م، ط١، كتاب الإيمان، حديث١٠٠، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرطهما فقد احتجا جميعا بمالك بن سعير والتفرد من الثقات مقبول، وقال الذهبي في تعليقه: على شرطهما وتفرد الثقة مقبول/ وقال الهيثمي: رواه البزار، والطبراني في الصغير والأوسط، ورجال البزار رجال الصحيح، مجمع الزوائد، (ج٨/٢٠٨)، حديث٣١٩٤٠/ قلت: ذكر البخاري والدارقطني أن هذا الحديث الصحيح أنه مرسل؛ ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى، العلل الكبير، تحقيق: صبحي السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ، (حديث ٤٥٦)/ وقال الدارقطني: «يرويه الأعمش، واختلف عنه؛ فرواه مالك بن سعير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وخالفه وكيع، فرواه عن الأعمش، عن أبي صالح، عن النبي ρ مرسلا ، وهو الصواب" الدارقطني، العلل الواردة في الأحاديث، (ج١٠/١٠٥).

١٤ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب أسماء النبيρ، حديث ٢٣٥٥.

المطلب الثاني: المنهج النبوي في السعي إلى المدنية والتحضُّر معنوياً.

سعى الإسلام وما زال إلى حفظ كيان الإنسان مادياً ومعنوياً، والناظر إلى منهج النبي صلى الله عليه وسلم في رعاية الأفراد في مجتمع المسلمين –بالنظر إليهم كمواطنين بغض النظر عن ديانتهم– يجد الكثير من القواعد والأوامر النبوية التي تؤصِّل إلى المدنية والتحضُّر معنوياً للأفراد؛ وأقصد بـ ''معنويا'' أي على الصعيد النفسي والكيان المعنوي للشخص والمجتمع.

فقد كانت الأمم السابقة وبعض الديانات وأهل الجاهلية قبل الإسلام لا تحترم الإنسان لإنسانيته، ولا تحترم الكيان النفسي للإنسان، إنما قد تنتهك القبيلة أو حُرمة الإنسان ودمه وماله وعرضه لأي سبب مهما كان، خاصة إذا لم يكن من أشراف القوم والكبراء أو ليس له قبيلة كبيرة، وكانت المرأة في الحضارة الرومانية تعدُّ رجساً وخطيئة، وليس لها أي قيمة[١٥].

ونقف هنا مع المنهج النبوي الذي سعى النبي صلى الله عليه وسلم من خلاله إلى إلغاء كلِّ أمر يخالف قواعد الدين والحضارة **معنوياً** وبما لا يُعارض الحضارة والتقدُّم؛ إذ يُعدُّ الدِّين الإسلامي ديناً يرتكز على الحضارة وحفظ كيان كلِّ مخلوق، ولا يُسمح بالتعدِّي وانتهاك حرمة الإنسان، حيث كان المبدأ العام الذي قرَّره القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء/١٧/٧٠].

ومن المبادئ النبوية في التقدُّم والحضارة على الصعيد المعنوي عدة أمور؛ منها:

١. حفظ كرامة الإنسان ومنزلته بغض النظر عن جنسه ودينه.

ففي كثير من الأحاديث حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على حفظ الإنسان وكرامته، فنهى عن السباب والشتم واللعن وهجاء الناس، ففي الجاهلية كان الشاعر يهجو قبيلة فيُسيء إليها وتبقى هذه الأشعار مسطَّرة في التاريخ، وتبقى هذه وَصْمة عارٍ في تاريخها، أو يهجو رجلاً، ثم جاء الإسلام فحرَّم انتهاك الحرمات واغتيال كيانات وحرمات الأشخاص أو القبائل من خلال الهجاء، وهو مما يتواءم مع التقدُّم والرُّقي الحضاري من حفظ كرامات الناس التي لم يكن لها حُرمة في الجاهلية، وفي هذا روت عَائِشَة قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ فِرْيَةً لَرَجُلٌ هَاجَى رَجُلاً، فَهَجَا الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا)[١٦].

ثم أمر الناس باحترام الناس وحفظ أعراضهم ومنازلهم ومراعاتها بين الناس، فحرَّم النبي صلى

١٥ ينظر: كحالة، عمر رضا، المرأة بين القديم والحديث، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧٩م، (ج١/ ١٣٢).

١٦ ابن ماجه، محمد بن يزيد، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر– بيروت، ط١، كتاب الأدب، ما كُره من الشعر، ٣٧٦١، والحديث قال عنه ابن حجر العسقلاني: إسناده حسن، ينظر: فتح الباري، (ج٥٣٩/١٠).

الله عليه وسلم التطاول على الأعراض فقال صلى الله عليه وسلم: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ)[١٧]، من هنا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم سعى لتأسيس حضارة جديدة تحفظ أعراض الناس وكرامتهم وكياناتهم المعنوية، فلا يُسمح لأحد بالتطاول على غيره، فهي دولة قانون تأخذ الحقوق بطرق حضارية ومدنية عن طريق القضاء، لا فرق بين عظيم وحقير، أو غني وفقير أمام القضاء في الإسلام.

١. حفظ كرامة المرأة وحمايتها.

ولقد راعى الإسلام حقوق المرأة ووقف ضدَّ أي تصرف فيه إساءة للمرأة وامتهان لها، ولقد ذكرتُ سابقاً كيف كانت الأديان السابقة والجاهلية تنظر إلى المرأة، وكانت الأنثى في الجاهلية تُدفَن وهي على قيد الحياة، خوفاً من العار؛ حيث قال تعالى مخبراً عن حال المشركين قبل الإسلام: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ *يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل/١٦/٥٨-٨٩]، فجاء الإسلام وحفظ لها كرامتها، وكان من وصايا النبي **صلى الله عليه وسلم** في حجة الوداع أنْ وضع قوانين وقواعد حضارية للتعامل مع المرأة بما يحفظ لها كرامتها فقال: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ)[١٨]، فالإسلام أوصى بالمرأة أُمًّا، ثم أختاً ثم زوجة، ثمَّ بنتاً، بل وجعلها سبباً من أسباب دخول الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعا وهات ووأد البنات)[١٩]، وقال صلى الله عليه وسلم (مَن ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار)[٢٠] وغيرها من النصوص في كتب الجوامع والسنن[٢١].

٢. حفظ النظام في المجتمع.

منذ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة بدأ صلى الله عليه وسلم في تطبيق مبادئ التحضر والمدنية، فأنهى مظاهر الفُرقة والحرب بين الأوس والخزرج، ثم زرع مبدأ المؤاخاة، ونشر مبدأ السلام في المدينة المنورة والمجتمع كاملاً، كما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أرسى

١٧ البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبيρ: ربَّ مبلغ أوعى من سامع، حديث٦٧.

١٨ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة)، حديث٣١٥٣.

١٩ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، حديث ٥٦٣٠.

٢٠ الترمذي، السنن، كتاب البر والصلة، باب النفقة على البنات والأخوات، حديث ١٩١٣، وقال الترمذي: حديث حسن.

٢١ للمزيد ينظر: أبو شقة، عبد الحليم، تحرير المرأة في عصر الرسالة- دراسة جامعة لنصوص القرآن وصحيح البخاري ومسلم، دار القلم، الكويت، ط٥، ١٩٩٩م.

مفهوم السَّلام والعدالة الاجتماعية في أوَّل أَمرٍ نبوي عند دخوله للمدينة المنورة حين بدأ بناء الدولة فكان أول ما قاله: (أيها الناس أفشوا السَّلام..... تدخلوا الجنة بسلام)[٢٢]، كما حفظ لليهود والنصارى حقوقهم وأمنهم في المدينة المنورة في صحيفة ووثيقة المدينة التاريخية، ولم يهدم صومعة ولا كنيسة، ولم يبدأ بحرب إلا إذا بدأها الطرف الآخر وسعى إليها، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال/٨/٦١].

٣. إدارة أمور الدولة بطريقة حضارية ومدنية جديدة.

حيث تُعدُّ إدارة شؤون الدولة وبنائها –معنوياً ومادياً– من الأمور التي ترتكز عليها قيام أيّ دولة، ففي داخل الدولة ربما ينقسم المجتمع إلى عدَّة أعراق أو أديان ويجب أن يحكمها قوانين تنظم علاقات المواطنين فيما بينهم مع الدولة، ثم العلاقات الخارجية للدولة، والناظر إلى إدارة النبي صلى الله عليه وسلم في الدولة الاسلامية يلحظ مدى التطوُّر الذي طرأ على الدولة الاسلامية في بداية تأسيسها، فالوثيقة[٢٣] التي كُتبت في المدينة بين المسلمين واليهود تدل على مدى عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالعلاقات العامة وتنميتها ففيها تَحَدَّدَ مفهوم الأمة، ثم المرجعية العليا لله ورسوله، ثم توضيح حدود إقليم الدولة، وبعدها بيان الحريات وحقوق الإنسان[٢٤].

فمن الأمور الحضارية التي جاءت في الوثيقة: **تحديد مفهوم الأمة**، فقد تضمَّنت الصحيفة مبادئ عامة، سارت دساتير الدول الحديثة على وضعها فيها، وفي طليعة هذه المبادئ تحديد مفهوم الأمة، فالأمة في الصحيفة تضم المسلمين جميعاً مهاجريهم وأنصارهم ومن تبعهم، ممن لحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة، من دون الناس، وهذا شيء جديد كل الجِدَّة في تاريخ الحياة السياسية في جزيرة العرب، إذ نقل الرسول صلى الله عليه وسلم قومه من شعار القبلية، والتبعية لها إلى شعار الأمة، التي تضم كل من اعتنق الدين الجديد، فلقد قالت الصحيفة عنهم «أمة

---

٢٢ وهو طرف لحديث رواه الترمذي وفيه قصة لعبد الله بن سلام عند رؤيته النبي ρ حين دخل المدينة، الترمذي، السنن، كتاب صفة القيامة والرقاق، باب (مرسل)، حديث ١٨٥٤، وقال عنه الترمذي: حديث صحيح.

٢٣ العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، د.ط، ١٩٩١م، (ج١/ ٢٧٢)، وقد تتبع الباحث العمري طرق الوثيقة فخَلُص إلى ترقيتها إلى درجة الصحيح بمجموع طرقها، وينظر: الإدارة في عصر الرسول ρ، حافظ أحمد الكرمي، ص٧٦. وما بعدها بتصرف.

٢٤ نظَّم النبيρ العلاقات بين سكان المدينة، وكتب في ذلك كتاباً أوردته المصادر التاريخية واستهدف هذا الكتاب أو الصحيفة توضيح التزامات جميع الأطراف داخل المدينة، وتحديد الحقوق والواجبات، وقد سميت في المصادر القديمة بالكتاب والصحيفة، وأطلقت الأبحاث الحديثة عليها لفظ (الدستور)، ويمكن أن تُقسم بنود الوثيقة إلى ستة وأربعين بنداً.

واحدة»[٢٥]، وأعلنت الصحيفة أن الحريات مصونة، كحرية العقيدة والعبادة وحق الأمن، وكلُّ هذه الأمور لم تكن متعارف عليها في جزيرة العرب، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ونظمها في وثيقة تشبه الدستور، وهو أمر يدل على عبقرية وتحضُّر في الفكر وبُعد النظر.

وتظهر مظاهر المدنية والتحضر معنوياً في عهده صلى الله عليه وسلم في كثير من الأمور، فمنذ هجرته صلى الله عليه وسلم بدأ في تنظيم حياة الناس والمجتمع، وبنى مجتمعاً متماسكاً قوياً؛ اجتماعياً، وسياسياً، وتنظيمياً، فنظَّم حقوق الناس وواجباتهم، بما يقال له الآن: حقوق وواجبات المواطنة، كما تظهر في العبادات والمعاملات، واعتنى بالبيئة ونظافة الفرد والمجتمع معنوياً ومادياً، والنصوص النبوية في ذلك كثير، جمعها المحدثون في مصنفاتهم تحت: عنوان «أحاديث الأدب النبوي»، ككتاب الأدب المفرد وكتاب الأدب في الصحيح للبخاري، وكتاب البر والصلة والآداب عند الإمام مسلم، وكتاب الأدب في السنن كما عند الترمذي وأبي داود وغيرهما.

المطلب الثالث: المنهج النبوي في السعي إلى المدنية والتحضر مادياً.

إنَّ مظاهر الحضارة والمدنية مادياً في عهده صلى الله عليه وسلم تظهر عياناً أكثر مما تظهر معنوياً، لأنَّ المظاهر المادية تظهر للجميع دون بحث، وإذا أردنا إحصاءها سيطول بنا المقام، فلقد برع النبي صلى الله عليه وسلم في قيادة الدولة الجديدة نحو التحضر والمدنية، فبناها بشكل متكامل من حيث: الحكم وأدواته، والمال والاقتصاد، والجانب العسكري، والإداري والقضائي، وغيرها من الجوانب التي ظهرت فيها الحضارة الإسلامية آنذاك، ثم بدأت بالتطور بشكل سريع، حتى بلغت أوجها في التاريخ الإسلامي، وما زال أثرها إلى زماننا.

وقد اعتنى المحدثون بذكر إشارات في تراجم الأبواب عند جمعهم للأحاديث، فالمُطالع في تراجم الكتب عند الإمام البخاري والترمذي وأبي داود على سبيل المثال: كتاب المغازي والسِّيَر، وكتاب الإمارة، وكتاب، الأحكام، والبيوع، والحج، والجهاد، والجزية، والأقضية، والحدود، والوصايا، والمزارعة والمساقاة، وغيرها من الكتب والتراجم، على سبيل المثال في صحيح البخاري في كتاب المزارعة بوَّب البخاري ب ١٧ باباً، أذكر منها ثلاثة أبواب: **باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، باب المزارعة مع اليهود، باب اقتناء الكلب للحرث**، وفي هذه الأبواب عدة فوائد منها: في الباب الأول: الحث على الزراعة والاكتفاء الذاتي، وقيمة الأجر الذي يلقاه المسلم حتى لو أكل منه غيره، والتنمية المستدامة، ثم في الباب الثاني: جواز استقدام الخبرات والأيدي العاملة لتطوير الزراعة والمنتجات وتسويقها، وفي الباب الثالث: جاوز اقتناء الحيوانات لحماية

٢٥ حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط٦، ١٤٠٧هـ، ص٥٩.

المزروعات، ومنها جواز حماية المزروعات حتى وإن كان من حيوان منهي عنه كالكلب، وفيه الحث على حامية الممتلكات والمزروعات من الآفات الضارة.

ولعلَّ من أفضل الكتب التي أشارت إلى بعض جوانب الحضارة والمدنية النبوية بشكل واضح هو كتاب (التراتيب الإدارية) للشيخ عبد الحي الكتاني[٢٦]، وسأذكر هنا بعض هذه الجوانب من التحضُّر والمدنية في عصره ومن خلال توجيهاتهصلى الله عليه وسلم، وهي كالآتي:

١. نشر القراءة والكتابة والعلوم والحث عليها

عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، وبدأ في إنشاء الدولة ظهر جليًّا عنده الاعتناء بنشر القراءة والكتابة، فمن عوامل بناء أي حضارة واستمرارها: معرفة القراءة والكتابة بين أفرادها، فاستعان النبي صلى الله عليه وسلم بعدة وسائل وقواعد لنشر القراءة والكتابة في المجتمع الجديد:

أ. اتخذ كتَّاباً للوحي

حيث حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعيين مجموعة من الصحابة مؤهلين وأمناء على كتابة الوحي وتقييده، حرصاً منهصلى الله عليه وسلم على نشر القرآن بين الناس، فليس كلُّ شخص يستطيع الحفظ، كما يتم حفظ القرآن من الضياع أو التحريف أو التغيير، وقد روى البيهقي بإسناده إلى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "كَانَتِ الْمَصَاحِفُ لَا تُبَاعُ، كَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي بِوَرَقَةٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَيَقُومُ الرَّجُلُ فَيَحْتَسِبُ فَيَكْتُبُ، ثُمَّ يَقُومُ آخَرُ فَيَكْتُبُ حَتَّى يُفْرَغَ مِنَ الْمُصْحَفِ"[٢٧]، وكان من أشهر هؤلاء الكتَّاب أُبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم[٢٨].

ب. تعيين المترجمين إلى اللغات الأخرى

فلقد اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بمعرفة لسان الأقوام والأمم، وذلك لعدة أسباب؛ منها: تبليغ الدعوة والإسلام لهم، وكذلك لكي يأمن مكرهم ويفهم رسائلهم كما يفعل اليهود حينها، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت بتعلم اللغة العبرانية أو السريانية، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ

٢٦ التراتيب الإدارية، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط٢، دون تاريخ.

٢٧ البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م، جماع أبواب بيوع الكلاب وغيرها مما لا يحل بيعه، (ج٦/ ٢٧) حديث١١٠٦٥، والحديث إسناده صحيح إلى ابن عباس.

٢٨ ابن عبد البَر، أبو عمر يوسف، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، (ج١/٦٨)

يَهُودَ قَالَ : إِنِّي وَاللَّه مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَاب قَالَ : فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْر حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ قَالَ : فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْه قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ[٢٩]، كما أنَّ زيد بن ثابت كان يعرف خمس لغات؛ وهي: العبرانية، الفارسية، الرومية، والقبطية، والحبشية[٣٠]، وهذا يدلنا على مدى تحضُّر النبي صلى الله عليه وسلم وسعيه إلى التقدم والتواصل مع الشعوب الأخرى وبناء العلاقات، فاتَّخذ مترجمين لهصلى الله عليه وسلم، كما كان بعض الصحابة يعرفون لسان بعض الأقوام نظراً لسفرهم وتجارتهم، كما حصل مع مهاجرة الحبشة، وكان صهيب بن سنان الرومي يعرف لسان الروم، قال ابن عبد البر: (يُعرف بذلك لأنه أخذ لسان الروم إذ سَبوه وهو صغير)[٣١].

ت. تعليم الصحابة وأطفالهم القراءة والكتابة ونشرها في المجتمع.

فمن المعلوم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حرص على تعليم الصحابة القراءة والكتابة لما يعلم عظم قدرها ونفعها على الفرد والمجتمع، وسعياً لتطور المجتمع وبنائه ونشر العلم، وظهر ذلك جلياً عندما طلب من أسرى بدر أن يعلموا أبناء الأنصار القراءة والكتابة، وكان من الممكن أن يطلب منهم فداء آخر كالعمل في المزارع أو أي عمل آخر، لكنه يسعى صلى الله عليه وسلم إلى بناء حضارة ودولة، فقد طلب من أسارى غزوة بدر أن يفدوا أنفسهم بأن يعلم كلُّ شخص منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة، كما روى ابن سعد بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم[٣٢]، وعلَّل ذلك عكرمة بقوله: بَلَغَ فِدَاءُ أَهْلِ بَدْرٍ أَرْبَعَةُ آلَاف حَتَّى إنَّ الرَّجُلَ لَيُفَادَى عَلَى أَنَّهُ يُعَلِّمُ الْخَطَّ، لِمَا هُوَ مُسْتَقِرٌّ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ عِظَمِ خَطَرِهِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ وَظُهُورِ نَفْعِهِ وَأَثَرِهِ[٣٣].

ث. نشر الثقافة وتعليمهم امور دينهم.

وفقد اهتمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم الناس أمور دينهم في المدينة قبل هجرته، وتعليمهم ما يهمهم من الثقافة، فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم مصعبَ بن عُمير إلى المدينة قبل الهجرة، ليعلم أهل المدينة أمور دينهم ويثقفهم، فنزل على سعد بن زرارة وكان يأتي الأنصار

---

٢٩ الترمذي، السنن، أبواب الاستئذان، باب تعلم السريانية، حديث ٢٧١٥، وقال الترمذي، حديث حسن صحيح.

٣٠ ينظر: الكرمي، د.حافظ أحمد عجاج، الإدارة في عصر الرسول، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط٢، ٢٠٠٧م، ص١٢٠.

٣١ ابن عبد البَر، الاستيعاب، (ج٢/٧٢٦).

٣٢ ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، (ج٢/ ٢٢).

٣٣ الماوردي، علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، د.ط، ١٩٨٦م، ص٦٠.

في دورهم وقبائلهم فيدعوهم إلى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن[٣٤].

كما كان بعض الصحابة يعلِّمون الناس القرآن والعلم، فقد جاء أنَّ عبادة بن الصامت كان يُعلِّم أهل الصُّفة القرآن[٣٥]، وروى البخاري عن البراء بن عازب –رضي الله عنه– قال: " أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلاَلٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ "[٣٦].

كما ظهر في عهده صلى الله عليه وسلم دور الكُتَّاب، وهي ما تعرف الآن بالمدارس والمعاهد العلمية، فقد ذكر البخاري عن أمِّ سلمة بعثت إلى معلم الكُتَّاب: ابعث إلي غلماناً ينفشون صوفاً[٣٧].

ج. تعليم المرأة القراءة والكتابة والعلوم الأخرى والعناية بها.

فقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعليم المرأة، وأولاها عناية لا تختلف عن الرجال في حقِّها في التعليم، على عكس الأمم السابقة، فقد خصص النبي صلى الله عليه وسلم يوماً خاصاً لتعليم النساء فقد بوَّب البخاري باب (هل يجعل للنساء يوماً خاصاً للعلم) وروى فيه حديث أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ قال: قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ[٣٨]، وعَنِ الشِّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ فَقَالَ لِي: أَلاَ تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ[٣٩]، ويظهر هنا حرصه صلى الله عليه وسلم على تعليم زوجته القراءة والكتابة،

٣٤ ابن سعد، الطبقات الكبرى، (ج٣/١١٨).

٣٥ أحمد، المسند، مسند عبادة بن الصامت، حديث٢٢٧٤١/ أبو داود، السنن، كتاب الاجارة، باب كسب المعلم، حديث٣٤١٨/ والحديث قال عنه شعيب الأرنؤوط: حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف، وقال أحمد: ويشبه إن كان شيء من هذا ثابتا – فقد ورد في رواية عبادة بن الصامت هذه نهي النبي عن أخذ الأجرة على تعليم القرآن– أن يكون منسوخاً بحديث ابن عباس وبما روي في معناه عن أبي سعيد الخدري، ويستدل على ذلك بذهاب عامة أهل العلم على ترك ظاهره، وبأن أبا سعيد وابن عباس إنما حملا الحديث في أواخر عهد النبي ρ ويشبه أن يكون عبادة بن الصامت حمله في الابتداء والله أعلم.

٣٦ البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مقدم النبيρ وأصحابه إلى المدينة، حديث ٣٧١٠.

٣٧ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من استعان عبداً او صبيا، حديث معلق ذكره بعد ترجمة الباب، (ج٦/ ٢٥٣٢).

٣٨ البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حده في العلم، حديث ١٠١.

٣٩ أبو داود، السنن، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى، حديث٣٨٨٩/ والحديث قال عنه النووي: إسناده صحيح، المجموع شرح المهذب، يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، ط١، دون تاريخ، (ج٩/٦٥) /وقال

ثم علم الطب، فقد أمر الصحابية الشفاء أن تعلم حفصة رقية النملة[٤٠] وذكر أهل السير أسماء بعض النساء من كنَّ يعرفن القراءة والكتابة، كأمثال: الشفاء بت عبد الله، وأم كلثوم بنت عقبة، وعائشة بنت سعد، وكريمة بنت المقداد، وكانت أم سلمة تقرأ ولا تكتب[٤١].

٢. العناية بالاقتصاد وقوة الدولة مالياً.

اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بالجانب الاقتصادي والمالي للدولة، وبدأ التخطيط لذلك على المجالات كافة من حيث: الصناعة والتجارة والزراعة، فقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إدارة اقتصاد الدولة بشكل صحيح ضمن التقدم المادي ورعاية مصالح الدولة، فبعد وصولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بدأ بإعادة تنظيم شؤونها والاقتصادية؛ إضافة إلى السياسية والاجتماعية، وكان من المهامِّ العاجلة التي أمر بها عليه الصلاة والسلام؛ إنشاءُ سوق للمسلمين في المدينة، إذ كان اليهودُ قبل الهجرة يحتكرون التجارةَ فيها، ويسيطرون على معظم الموارد، وقد أرادَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم إنهاءَ هذا الاحتكارِ والهيمنة، وتشجيعَ أثرياءِ المسلمين على مزاولة النشاط الاقتصادي.

تذكر كتب السيرة[٤٢] أنَّه كانت في المدينة المنورة سوقٌ تُسمَّى «سوق بني قينقاع» في حيٍّ من أحياء اليهود، وكانوا يتعاملون بالربا والمقامرة، والتدليس والغش، والغرر والسحت والاحتكار، ويفرض على المتعاملين فيها الإتاوات، وهذا كله لا يتفق مع القواعد والضوابط الإسلامية للمعاملات، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينشئ سوقًا جديدةً للمسلمين، فذهب إلى مكانٍ قريبٍ من سوق بني قينقاع وضرب قبَّةً- خيمة- كبيرة لتكون رمزًا وعلامةً يتجمع حولها المسلمون للبيع والشراء[٤٣]، واختار مكاناً فسيحاً بأطراف المدينة بعيداً عن المحال السكنية وذلك

عنه ابن مفلح: حديث صحيح، ينظر: عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٣، ١٩٩٩م، (ج٣/٢٨٩).

٤٠ هي قروح تخرج في الجنب وغيره، ينظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، (ج٢/ ٤٣٨)

٤١ البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص٤٥٤.

٤٢ ينظر: ابن شبة، أبو زيد عمر، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم شلتوت، المدينة المنورة، د.ط، ١٣٩٣هـ، (ج١/٣٠٤)، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن على المقريزي، تحقيق: محمد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، (ج٩/ ٣٦٢).

٤٣ المقريزي، إمتاع الأسماع، (ج٩/ ٣٦٢).

باقتراح من أحد الصحابة، روى الطبراني عن الزُّبَيْرُ بن أَبِي أُسَيْد، عَنْ أَبِيه (أَنَّ رَجُلا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: بأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَوْضعاً لِلسُّوق، أَفَلا تَنْظُرُ إِلَيْه؟، قَالَ:»بَلَى»، فَقَامَ مَعَهُ حَتَّى جَاءَ مَوْضِعَ السُّوق، فَلَمَّا رَآهُ أَعْجَبَهُ وَرَكَضَهُ بِرِجْلِه، ثُمَّ قَالَ:»نِعْمَ سُوقُكُمْ هَذَا، فَلا يُنْتَقَضَّ وَلا يُضْرَبَنَّ عَلَيْه خَرَاجٌ)[٤٤].

ويقصد بذلك: لا بدَّ وأنْ تكون السوق واسعةً ولا يُضيِّق التجار على بعضهم البعض في الأماكن، وقد تقدَّمت الصناعات والحِرَف في المدينة بناءً على المنهج النبوي القائم على تنمية الطاقات وتحفيزها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر المشي في الأسواق متفقداً الأحوال الصناعية والتجارية والزراعية للمسلمين، وأحيانا يكلِّف بعض الصحابة بالمراقبة[٤٥].

وفي الصناعة اهتمَّ النبي صلى الله عليه وسلم بالحث على العمل والاكتساب من اليد، وعن أبي ذر –رضي الله عنه– : قُلْتُ: (يا رسول الله أَيُّ الرِّقَاب أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا، قَالَ: قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَق)[٤٦]، وقد كان أهل المدينة عموماً من المزارعين، وبعد الهجرة بدأت الحِرَف والصناعات تنتشر مع قدوم المهاجرين من المهن، فقد كان خباب بن الأرت يمتهن صناعة السيوف وحدَّداً[٤٧]، ولما فتحصلى الله عليه وسلم خيبر أحضر معه منها ثلاثين حداداً[٤٨]، وكان هؤلاء يقومون بصناعة ما يحتاج إليه الناس في حياتهم اليومية، كذلك قصة النجار الذي بنى للنبيصلى الله عليه وسلم المنبر[٤٩]، كذلك صناعة السلاح والآلات الزراعية، وغيرها من الصناعات التي انتشرت الهجرة النبوية وبناء الدولة[٥٠].

وفي الجانب الزراعي والحضارة النبوية: يظهر تقدمه وسعة نظره صلى الله عليه وسلم في عدَّة نواحٍ:

٤٤ الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، (ج١٤/ ١٦٦) حديث١٥٩٢٩، قال الهيثمي: الحديث إسناده صحيح، غير الحسن بن علي بن حسن البرَّاد لم أقف على من ترجم له، مجمع الزوائد، (ج٤/٧٦).

٤٥ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، (ج٢/ ١٠٢).

٤٦ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث٢٦٠.

٤٧ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (ج٢/٢٥٨).

٤٨ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف د.ت، (ج٢/٧٥).

٤٩ ابن حجر، فتح الباري، (ج١/٢٦٥).

٥٠ للمزيد: الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ρ، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، د.ت، ص٣٠٨.

منها استعمال أصحاب الخبرة في زراعة الأرض ورعايتها: ويتمثَّل ذلك عندما عقد اتفاقه مع أهل خيبر على نصف تمر خيبر مقابل الصُّلح كما رواه البخاري[٥١]، وذلك لمعرفته بقدرتهم ومعرفتهم بالزراعة وإدارة شؤون أرضهم، ثم محاولة إشراك المواطنين كافَّة في إنعاش اقتصاد الدولة وتنميتها.

السعي إلى الاكتفاء الذاتي في الموارد: ومن خلال ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم من التوجيهات النبوية في رعاية الأرض وإصلاحها والتقدم الحضاري بدأ الصحابة باستصلاح الأرض، والنظر إلى الاكتفاء الذاتي في الموارد، فبدأ طلحة بن عبيد الله بزراعة القمح في المدينة المنورة، حيث كان أهل المدينة ومَن حولهم يستوردون القمح من الشام، وكان أول من زرع القمح في مزرعته بالمدينة، وكان يزرع على عشرين ناضحًا، وينتج ما يكفي أهله بالمدينة سَنَتهم، حتى استغنوا عمَّا يستورد من بلاد الشام، وكان هذا من خلال التوجيه النبوي في السعي إلى التقدم والانتاج[٥٢].

إحياء الأرض الموات وزراعتها: حيث كان من المنهج النبوي في التحضُّر رعاية الأرض وإصلاحها، والسعي إلى التنمية المستدامة في الموارد، قالصلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ مُسْلِم يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةً)[٥٣]، وقالَ صلى الله عليه وسلم: (من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق)[٥٤]، وبيَّن المنهج النبوي في السعي إلى التنمية المستدامة في رعاية الموارد الزراعية، والنظر إلى المستقبل ونفع البشر في المستقبل، ويظهر ذلك بقولهصلى الله عليه وسلم: (إنْ قامت السَّاعة وفي يد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقومَ حتَّى يغرسها، فليغرسها؛ فله بذلك أجر)[٥٥].

وفي الصناعات الحربية آنذاك حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الاستفادة كذلك في الصناعات الحربية ولو من خبرات الخارج حيث أرسلصلى الله عليه وسلم البعثات العلمية عند الحاجة، حيث خطَّط لإعداد السلاح داخليّاً لئلّا يتحكم به أحد في الساعات الحرجة[٥٦]، فيُروى

---

٥١ البخاري، صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب إذا قال رب الأرض أقرك ما أقرك الله ولم يذكر أجلا معلوما فهما على تراضيهما، حديث ٢٢١٣.

٥٢ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، ، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، (ج٢٥/١٠٣).

٥٣ البخاري، صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أُكل منه، حديث ٢١٩٥/ مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والمساقاة، حديث ٤٠٥٠.

٥٤ البخاري، صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، حديث ٢٢١٠.

٥٥ ابن حنبل، المسند، مسند أنس بن مالك، (ج٣/ ١٩١) حديث١٣٠٠٤، وقال عنه الهيثمي: رجاله أثبات ثقات، مجمع الزوائد، (ج٤/٧٥).

٥٦ ينظر: حتاملة، ثامر عبد المهدي،، المنهج النبوي في إدارة الأعمال، (ج٢/ ٧٤).

أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أرسل عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة إلى جُرَش[٥٧] ليتعلما صناعة الدبابات[٥٨] والمنجنيقات[٥٩] والعرادات[٦٠]، وهي أضخم الآلات الحربية آنذاك[٦١].

٣. العلاقات العامة والخارجية الدبلوماسية.

تقاس مدى تحضُّر الدول الآن بمدى انفتاحها بعلاقاتها مع الدول الأخرى وبناء جسور التواصل معها، فأي دولة منغلقة على نفسها ومنعزلة عن العالم تُعدُّ من الدول المتأخرة التي لا تقبل الآخر، وكان من تميز النبي صلى الله عليه وسلم في التأسيس للتحضُّر والمدنية: التواصل مع الأمم الأخرى، حيث تُعدُّ إدارة العلاقات الدبلوماسية الخارجية من الأمور التي ترتكز عليها قيام وتطور أيّ دولة، وقد اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بعلاقات الدولة النبوية مع الدول الخارجية عناية فائقة، فقد بدأ ذلك بعد هجرتهصلى الله عليه وسلم إلى المدينة وظهور وقيام الدولة الإسلامية آنذاك، ثم في العام السادس للهجرة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الرسائل والسفراء إلى الدول المجاورة، فتواصل مع الأمم الأخرى لدعوتهم، واتَّخذ النبي صلى الله عليه وسلم سفراءَ ورسلاً إلى الدول، وكان من نتائج هذا التواصل مع الأمم الأخرى عندما هاجر الصحابة إلى الحبشة فأسلم ملك الحبشة بسبب تواصل المسلمين معه هناك[٦٢]، ثم وضع بعض حقوق السفراء وقواعد توظيفهم، وكان هؤلاء الرسل من المشهورين في المجتمع الإسلامي الذين نَبَهوا وتميَّزوا في العلم أو الكتابة وفصاحة اللسان أو الإدارة[٦٣]، ومن مظاهر عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالقواعد الدبلوماسية وإرسائها أنَّه قال: (إنْ أبردتم إليَّ بريداً، فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم)[٦٤]، ويمكن أن نذكر ملامح عامة تبيّن مدى التطوُّر والتحضُّر في المنهج النبوي بالنسبة

---

٥٧ الكُلاعي، سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، (ج٢/٢٠٨).

٥٨ الدَّبَّابة: التي تُتَّخَذ للحُروب يَدْخُلُ فيها الرِّجالُ ثم تُدفَع في أَصل حِصْن فيَنْقُبونَ وهم في جَوْفِها سمِّيَت بذلك لأنها تُدْفع فتَدِبُّ/ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج١/ ٣٦٩)

٥٩ المَنْجَنُوق: القَذَّاف التي ترمى بها الحجارة دخيل أَعجمي مُعرَّب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب،(ج١٠/ ٣٣٨).

٦٠ العرَّادات: جمع عرادة ، وهى من آلات الحرب ، ترمى بالحجارة المرمى البعيد، إلا أنها أصغر من المنجنيق/ ابن منظور، لسان العرب، (ج٣/ ٢٨٧).

٦١ ينظر: الواقدي، المغازي، (ج٣/ ٩٢)، ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، ص٢٢٩.

٦٢ فعندما مات النجاشي قام النبي ρفنعى موت النجاشي ثم صلى عليه صلاة الغائب ،ينظر :البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه، حديث١١٨٨.

٦٣ النظم الدبلوماسية في الاسلام، صلاح الدين المنجد، ص٢٨.

٦٤ البزار، البحر الزخار، (ج١٠/ ٢٧٨) حديث(٤٣٨٣)، قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفي إسناد الطبراني عمر بن راشد، وثقه العجلي وضعفه جمهور الأئمة، وبقية رجاله ثقات، وطرق البزار ضعيفة، مجمع الزوائد، (ج٧/٣٥٩).

للجزيرة العربية آنذاك في المعاملات الدبلوماسية:

١. **إنشاء المعاهدات والمواثيق:** ومن مظاهر تطور المنهج النبوي في بناء المعاهدات والمواثيق فتظهر من خلال تلك المعاهدات التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم سواء كان ذلك مع اتباع الديانات الأخرى أو القبائل الموجودة في المدينة، أو القبائل العربية المجاورة، فقد أظهرت هذه المعاهدات نوعاً جديداً من الذكاء الدبلوماسي في المنهج النبوي للتعامل مع الأحداث، وكانت هذه الدبلوماسية تعتمد مصلحة الدولة وتقدمها وحفظها من الأعداء، وقد ذكرت لنا المصادر مجموعة كبيرة من العقود والمعاهدات، ومنها معاهدات مع وفد همذان والنخع وكلب وثقيف وأذرح والجرباء وغيرها[٦٥].

٢. **إرسال السفراء:** وفي السنة السادسة للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رُسله إلى الملوك بكُتُبِه من باب التواصل الحضاري مع الأمم ودعوتهم إلى الإسلام، فأرسل قرابة ثمانية رسائل إلى ثمانية ملوك[٦٦].

٣. **اتخاذه الخاتم كأداة للختم الرسمي:** فمن مظاهر حرصه على المدنية والتحضُّر اتخاذه الخاتم لختم الكتب الرسميَّة فقد روى البخاري عَنْ أَنَس بْن مَالك قَالَ كَتَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلمكتَابًا، أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ – فَقيلَ لَهُ إِنَّهُمْ لاَ يَقْرَؤُونَ كِتَابًا إِلاَّ مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ)[٦٧].

٤. **وضع النبي صلى الله عليه وسلم حقوقاً للسفراء:** فحفظ دماءهم وأموالهم، وأقام دار ضيافة للسفراء وتكفل بطعامهم وشرابهم وهداياهم، كما اعتنى بلقاء وتكريم الوفود الدبلوماسية[٦٨]، كما سمح للسفراء بتأدية عباداتهم حين قدومهم إليه في المدينة إنْ كانوا غير مسلمين كما في وفد نصارى نجران؛ وفي قصتهم: "وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق" [٦٩].

---

٦٥ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (ج١، الصفحات: ٣١٢، ٣١٤، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٦، ٣٤٧)، الكرمي، والإدارة في عصر الرسولρ، ص١٣٧.

٦٦ المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبيρ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع،(ج١/ ٣٠٤-٣٠٥).

٦٧ البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب المناولة، حديث ٦٥/ مسلم، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب فِي اتِّخَاذِ النَّبِيِّ خَاتَمًا لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الْعَجَمِ، حديث٥٦٠١.

٦٨ المنجد، صلاح الدين، النظم الدبلوماسية في الإسلام، دار الكتاب للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٣م، ص٨٠/ الإدارة في عصر الرسولρ، الكرمي، ص١٣١.

٦٩ ابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت،

٥. **الحصانة الدبلوماسية للسفير**: أما في الحصانة الدبلوماسية للسفراء وحفظ أرواحهم وحقوقهم وعناية النبي صلى الله عليه وسلم بها ما رواه أبو داود بإسناده عن نُعَيْم بْن مَسْعُود الأَشْجَعِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَهُمَا حِينَ قَرَآ كِتَابَ مُسَيْلِمَةَ مَا تَقُولاَن أَنْتُمَا؟ قَالاَ: نَقُولُ كَمَا قَالَ، قَالَصلى الله عليه وسلم: (أَمَا وَاللَّه لَوْلاَ أَنَّ الرُّسُلَ لاَ تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَ)[٧٠].

٦. **عدم حبس السفراء أو إيذائهم أو إغرائهم لترك أقوامهم**: ويظهر ذلك من خلال ما رواه أبو داود بإسناده عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ أَبَا رَافِعٍ أَخْبَرَهُ قَالَ بَعَثَتْنِي قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم أُلْقِيَ فِي قَلْبِيَ الإِسْلاَمُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه إِنِّي وَاللَّه لاَ أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: (إِنِّي لاَ أَخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلاَ أَحْبِسُ الْبُرُدَ وَلَكِنِ ارْجِعْ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي فِي نَفْسِكَ الآنَ فَارْجِعْ)، قَالَ: فَذَهَبْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَسْلَمْتُ[٧١].

٧. **تخصيص ميزانية خاصة من بيت مال المسلمين لرعاية الضيوف والسفراء وهداياهم**: وفي حفظ الأموال لرعاية مصالح الوفود وهداياهم خصص النبي صلى الله عليه وسلم قسماً من المال العام وخزينة الدولة لهدايا وإطعام الوفود، فقد روى أبو داود أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم لَمَّا ظَهَرَ عَلَى خَيْبَرَ قَسَمَهَا عَلَى سِتَّةِ وَثَلاَثِينَ سَهْمًا جَمَعَ كُلُّ سَهْمٍ مِائَةَ سَهْمٍ فَكَانَ لِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم وَلِلْمُسْلِمِينَ النِّصْفُ مِنْ ذَلِكَ وَعَزَلَ النِّصْفَ الْبَاقِيَ لِمَنْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْوُفُودِ وَالأُمُورِ وَنَوَائِبِ النَّاسِ[٧٢].

وفي قصة مجيء رسول هرقل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك في السنة التاسعة للهجرة اعتذر النبي صلى الله عليه وسلم لهذا السفير عن عدم وجود جوائز وهدايا له لأنه في سفر؛ فقد

(ج٣/١١٤)/ السهيلي، الروض الأنف، (ج٣/٣).

٧٠ أحمد، المسند، مسند نعيم بن مسعود، حديث١٦٠٣٢/أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب في الرسل، حديث٢٧٦٣، ورواه الحاكم وصححه، المستدرك، (ج٢/٥٥)، حديث٢٦٣٢/ والحديث صحيح له شاهد من حديث عبد الله بن مسعود، ويتقوى بمتابعاته.

٧١ أحمد، المسند، مسند أبي رافع، حديث٢٣٩٠٨/أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب فِي الإِمَامِ يُسْتَجَنُّ بِهِ فِي الْعُهُودِ، حديث٢٧٦٠، والحديث صحيح.

72 أبو داود، السنن، كتاب الخراج، باب ما جاء في خراج خيبر، حديث٣٠١٤، وقال ابن عبد البر في حكمه على الحديث: وهذا الحديث أهذب ما روي في هذا الباب «معنى وأحسنه إسنادا، ينظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ، (ج٦/٤٥٣).

روى الإمام أحمد بإسناده حديث قصة سفير هرقل، وجاء فيه: (قال صلى الله عليه وسلم إن لك حقا وإنك رسول فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها إنا سفر مرملون قال فناداه رجل من طائفة الناس قال أنا أجوزه ففتح رحله فإذا هو يأتي بحلة صفورية فوضعها في حجري قلت من صاحب الجائزة قيل لي عثمان ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلمأيكم ينزل هذا الرجل فقال فتى من الأنصار أنا فقام الأنصاري وقمت معه)[٧٣].

ويتضح من هذا أنَّ كسوة السفراء وهداياهم وضيافته من الحقوق التي اعتنى بها النبي صلى الله عليه وسلم وهي من حُسن الاستقبال والتكريم للسفراء والبعثات الدبلوماسية، ومن المنهج النبوي في السعي إلى التقدم والمدنية.

٨. **حسن استقبال السفراء والمبعوثين:** فمن مظاهر المدنية والتحضُّر عند النبي صلى الله عليه وسلم في حُسن استقبال السفراء والمبعوثين وإطعامهم، وتخصيص شخص للقيام بمتطلباتهم، ذكر ابن سعد أنه قدم وفد محارب سنة عشر في حجة الوداع وهم عشرة نفر منهم: سواء بن الحارث، وابنه خزيمة بن سواء فأنزلوا دار رملة بنت الحارث، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء فأسلموا[٧٤].

ومن خلال كلِّ ما سبق: يظهر لنا مدى حرص النبي صلى الله عليه وسلم على التقدم والتطوُّر الحضاري للدولة آنذاك، ووضع قواعد لأمتهصلى الله عليه وسلم من أجل التطور الحضاري والسعي إليه في مجالات الحياة كافة، فالمسلم يبدع في كلِّ مجال، كلٌّ حسب طاقته وجهده وخبرته، فالدولة المسلمة تسعى إلى التنمية في مواردها وحياتها، ولا تعتمد على غيرها قدر الإمكان، والناظر إلى الموارد الموجودة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على قلّتها إلا أنه يلحظ مدى التطور السريع في عهده صلى الله عليه وسلم على المستوى: الاجتماعي، والاقتصادي، والزراعي، والدبلوماسي، والسياسي، والصناعي[٧٥]، مما جعل الدولة المسلمة آنذاك في مصافِّ الدول الكبرى، وكلٌّ ذلك حصل من خلال:

١. الفهم النبوي الصحيح للنصوص الشرعية وتعليمها لأمَّتهصلى الله عليه وسلم.
٢. تطبيق القواعد النبوية التي تحث على التطور والحضارة واقعاً في الحياة العملية.

---

٧٣ أحمد، المسند، حديث التنوخي عن النبيρ، حديث ١٥٦٩٣/ ابن سلام، أبو عبيد القاسم، الأموال، تحقيق: خليل هراس، دار الفكر، بيروت، ط١، د.ت، حديث٦٢٩، والحديث قال عنه الهيثمي: رواه عبد الله بن أحمد، وأبو يعلى، ورجال أبي يعلى ثقات، ورجال عبد الله بن أحمد كذلك، مجمع الزوائد، (ج١٧٩/٨).

٧٤ ابن سعد، الطبقات الكبرى، (ج١/ ٢٩٩).

٧٥ كما ذكرتُ سابقاً إرسال النبيρ بعض الصحابة لتعلم صناعة الآلات الحربية.

٣. استمرار هذا التقدم وتطوره بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، مما يدل على فهم الصحابة والخلفاء من بعدهم لهذه التوجيهات النبوية.

٤. انطلاق المسلمين إلى التطور والمدنية من خلال الإسلام والعقيدة التي تأمر بذلك.

وغيرها من المنطلقات التي ساعدت على بناء الحضارة النبوية والإسلامية بشكلٍ سريع ومطَّرد ودؤوب، يلحظه القارئ للتاريخ الإسلامي وأسماء العلماء المسلمين في العلوم ونواحي الحياة كافة.

الخاتمة وفيها أهم النتائج:

١. الإسلام لا يتوافق مع التخلُّف الحضاري، بل هو دين يسعى إلى التطور الحضاري الذي يسهِّل للإنسان مهمته في الاستخلاف في هذه الدنيا، وعدم التكاسل في السعي إلى كلِّ أمرٍ فيه تقدم وتطور يخدم الإنسانية جميعها.

٢. المدنية والحضارة مفاهيم عامة تُبيِّن مدى تقدم الأمم مادياً ومعنوياً، وهو ما يُقاس به تقدم الأمم وخدمتها للبشرية في الدنيا، وهذا ما تميّزت به الأمة الإسلامية منذ قيام الدولة في المدينة المنورة، من خلال بناء الدولة بشكل سريع، ثم إنشاء الاقتصاد الخاص، والتواصل مع الدول الأخرى، وصناعة السلاح وما تحتاجه الدولة من موارد من خلال التجارة والصناعة والزراعة والبناء الاجتماعي.

٣.طبَّق النبي صلى الله عليه وسلم بعض مظاهر الحضارة والمدنية في زمنه من خلال الفهم الصحيح لمقاصد الشريعة ،وهذه التطبيقات النبوية مثال لنا ننطلق من خلاله إلى التقدم والحضارة الإنسانية التي تحفظ كيان المجتمع وقوته في مصاف الدول القوية.

٤.أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بعض البعثات العلمية إلى البلاد المجاورة للاستفادة من خبرات غير المواطنين وإدخال الصناعات ومظاهر الحضارة إلى بلاد المسلمين.

٥.من مظاهر الحضارة في زمنه صلى الله عليه وسلم رفع من شأن المرأة وأعطاها حقوقها كاملة ،من حياة كريمة ،وتعليم وميراث وغيرها من الحقوق التي كانت تفتقدها في الجزيرة العربية والدول المجاورة آنذاك ،حتى أحضر من تُعلم زوجته- حفصة بنت عمر -القراءة والكتابة ومهنة الطب.

٦.تجلَّت الأوامر النبوية في التطور الحضاري المادي في زمنه صلى الله عليه وسلم في عدة صور، منها :التطور الاقتصادي والتجاري من خلال إنشاء السوق والتجارة الخاصة بالمسلمين ،ثم الاكتفاء الذاتي في الصناعة والزراعة والمال.

٧.الحضارة والمدنية تتألفان من أربعة مرتكزات عامة وهي :الموارد الاقتصادية وتنميتها،

النظم السياسية ،التقاليد الخلقية ،متابعة العلوم والفنون ،وقد اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المرتكزات :فاهتم بموارد الدولة الاقتصادية فأنشأ السوق ،وحث على الصناعة والمهنة وجاء بالحدادين إلى المدينة ،وقد تميَّز الإسلام بالمنظومة الاخلاقية ونشر العلم والتعلم في المدينة.

٨.تميزت الحضارة الإسلامية بحفظ الإنسان وكرامته وحرياته منذ بداية نشأة الدولة في المدينة المنورة ،بين المسلمين أنفسهم ،ثم في المعاهدة التي كتبها النبي صلى الله عليه وسلمبين المسلمين وغير المسلمين في المدينة ،حتى أصبحت دستوراً للتعايش والحقوق والواجبات وقد يطلق عليها)حقوق المواطنة ،(وهذا ما تنبَّه له المجتمع الدولي في ميثاق الأمم المتحدة حول حقوق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تم إقراره بعد الحربين العالميتين عام١٩٤٨ م ،وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق بإقرار هذه الحقوق من قبل.

٩.قام النبي صلى الله عليه وسلم بإرسال البعثات الخارجية للتعلم والاستفادة من خبرات الآخرين حتى وإن كانوا غير مسلمين ،كما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة إلى اليمن لتعلُّمِ صناعات الآلات الحربية.

١٠.من مظاهر التطور الحضاري في منهجه صلى الله عليه وسلم :العلاقات الدبلوماسية، وإرساله الرسائل إلى الدول المجاورة ومحاولة إنشاء علاقات دولية معهم ودعوتهم إلى الإسلام ،حتى كان إسلام ملك الحبشة من خلال هجرة الصحابة إليه ودعوته.

١١.كان النبي صلى الله عليه وسلم مِن أوائل مَنْ سعى في الجزيرة العربية إلى الاستفادة من الخبرات الخارجية وإرسال البعثات الخارجية للتعلم ،كما أرسل بعض الصحابة إلى جُرش لتعلم صناعة الأدوات الحربية.

١٢.وضع النبي صلى الله عليه وسلم حقوق السفراء وحفظها لهم ،وخصص مبلغاً من ميزانية الدولة للقيام بهذه الحقوق.

المصادر والمراجع:

الإدارة في عصر الرسول، د.حافظ أحمد عجاج الكرمي، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط٢، ٢٠٠٧م.

أدب الدنيا والدين، علي بن محمد الماوردي، دار مكتبة الحياة، د.ط، ١٩٨٦م.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى الكلاعي، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن على المقريزي، تحقيق: محمد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: خليل هراس، دار الفكر، بيروت، ط١، د.ت.

البحر الزخّار، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، بدأت ١٩٨٨م وانتهت ٢٠٠٩م، ط١.

تاج العروس، محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، دار الهداية، مصر، ط١.

تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

تاريخ المدينة المنورة، ابو زيد عمر بن شبة، تحقيق: فهيم شلتوت، المدينة المنورة، د.ط، ١٣٩٣هـ.

تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م.

تحرير المرأة في عصر الرسالة- دراسة جامعة لنصوص القرآن وصحيح البخاري ومسلم، عبد الحليم أبو شقة، دار القلم، الكويت، ط٥، ١٩٩٩م.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر، ط٢، ١٩٩٩م.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ.

الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، د.شوكت محمد عليان، دار الشواف، ط٢، الرياض، ١٩٩٦م.

الدرر في اختصار المغازي والسير، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، د.ط، ١٩٦٦م.

السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م.

السنن ،سليمان بن الأشعث ،تحقيق :محي الدين عبد الحميد ،دار الفكر ،بيروت ،ط١.

السنن، محمد بن يزيد بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- بيروت، ط١.

السيرة النبوية الصحيحة ،أكرم ضياء العمري ،مكتبة العلوم والحكم ،المدينة المنورة ،د.ط، ١٩٩١م.

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البُغا، دار ابن كثير، دمشق، ط١.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

العلل الواردة في الاحاديث النبوية، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: محفوظ الحمن زين الله، الرياض، دار طيبة، ١٩٨٥م، ط١.

عمارة الأرض في الإسلام، د. محفوظ ولد خيري، مقالة في موقع: إسلام ويب، منشورة بتاريخ: ٢٠١٣/١١/٧م.

العهد القديم، سفر الجامعة، الإصحاح السابع، الآية: ٢٥-٢٦.

غريب الحديث، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقي: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر – بيروت، ط١.

المرأة بين القديم والحديث، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٧٩م.

المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله محمد ن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، ط١.

المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري،عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

المسند، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط١، دون تاريخ.

المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، القاهرة.

المغازي، محمد بن عمر الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، عالم الكتب –بيروت،١٩٨٤م.

من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.

مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، د.ت.

المنهج النبوي في إدارة الأعمال، د.ثامر حتاملة، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد الأربعون، ٢٠١٦م، ج٢.

النظم الدبلوماسية في الإسلام ،صلاح الدين المنجد ،دار الكتاب للطباعة والنشر ،ط١، ١٩٨٣م.

KAYNAKÇA

Acâc el-Keremî, *Hâfız Ahmed. el-İdâre fî asri'r-Rasûl*. 2. Baskı. Mısır: Dârü's-Selam, 2007.

Maverdi, Ali b. Muhammed. *Edebü'd-dünya ve'd-din*. Dâru Mektebeti'l-hayât, 1986.

İbn Abdülber, Ebû Ömer Yûsuf el-Kurtubî. *el-İstî'âb fî ma'rifeti'l-ashâb*. Thk. Ali el-Bicâvî. Beyrut: Dârü'l-cîl, 1992.

Külâ'î, Süleyman b. Mûsâ. *el-İktifâ bi-mâ tezammanahu min mağâzî Rasûlillâh ve's-selâsetü'l-hulefâ*. Beyrut: 'Âlemü'l-kütüb, 1417.

Makrîzî, Takıyyüddîn Ahmed b. Ali. *İmtâ'u'l-esmâ' bimâ li'n-nebî mine'l-aḥvâl ve'l-emvâl ve'l-ḥafede ve'l-metâ'*. Thk. Muhammed en-Nemîsî. Beyrut: Dârü'l-Kütübi'l-ilmiyye, 1999.

Bezzâr, Ebû Bekr Ahmed b. Amr. *el-Bahrü'z-zehhâr*. Thk. Mahfûzurrahman Zeynullah v.dğr. Medine: Mektebetü'l-Ulûm ve'l-hikem, 1988-2009.

Zebîdî, Muhammed b. Muhammed Murteza. *Tâcu'l-Urûs*. Mısır: Dârü'l-Hidâye, 1965.

Taberî, Ebû Ca'fer Muhammed b. Cerîr. *Târîhu'l-ümem ve'l-mülûk*. Beyrut: Dârü'l-Kütübi'l-ilmiyye, 1407.

İbn Şebbe, Ebû Zeyd Ömer. *Târîhu'l-Medîneti'l-münevvere*. Thk. Fehîm Şeltût. Medine: y.y., 1393.

İbn Asâkir, Ebü'l-Kâsım Ali b. el-Hasen b. Hibetillâh. *Târîhu Dımaşk*. Thk. Ömer b. Garâme el-Amrevî. Beyrut: Dârü'l-Fikr, 1995.

İbn Kesîr, Ebü'l-Fidâ İsmâil b. Ömer. *Tefsîrü'l-Kur'ani'l-azîm*. Thk. Sâmî Selâme. Dâru Tayba, 1999.

Şevket Muhammed Alyân. *es-Sakâfetü'l-İslâmiyye ve tahdiyâtü'l-asr*. Riyad: Dârü'ş-Şevvâf, 1996.

İbn Abdülber, Ebû Ömer Yûsuf el-Kurtubî. *ed-Dürer fî ihtisâri'l-mağâzî ve's-siyer*. Thk. Şevkî Dayf. Kahire: y.y., 1966.

Beyhakî, Ahmed b. Hüseyn. *es-Sünenü'l-Kübrâ*. Thk. Muhammed Abdülkâdir Atâ. Beyrut: Dârü'l-Kütübi'l-ilmiyye, 2003.

Ebû Dâvûd, Süleyman b. Eş'as. *es-Sünen*. Thk. Muhyiddin Abdülhamîd. Beyrut: Dârü'l-Fikr, ts.

İbn Mâce, Muhammed b. Yezîd. *es-Sünen*. Thk. Muhammed Fuâd Abdülbâkî. Beyrut: Dârü'l-Fikr, ts.

Ekrem Ziyâ el-Ömerî. *es-Sîretü'n-nebeviyyetü's-sahîha*. Medine: Mektebetü'l-Ulûm ve'l-hikem, 1991.

Ali es-Sallâbî. *es-Sîretü'n-nebeviyye 'arzu vakâi' ve tahlîlu ahdâs*. 10. Baskı. Beyrut: Dârü'l-Ma'rife, 2010.

Buhârî, Muhammed b. İsmâil. *Sahîhü'l-Buhârî*. Thk. Mustafa el-Buğâ. Dımaşk: Dâru İbn Kesîr, ts.

Müslim, Müslim b. el-Haccâc en-Nisâbûrî. Sahîhu Müslim. Thk. Muhammed Fuâd Abdülbâkî. Beyrut: Dâru İhyâi't-türâsi'l-Arabî, ts.

İbn Sa'd, Muhammed. *el-Tabakatü'l-kübrâ*. Thk. İhsan Abbas. Beyrut: Dâru Sâdr, 1968.

Dârekutnî, Ali b. Ömer. *el-'İlelü'l-vâride fi'l-ehâdîsi'n-nebeviyye*. Thk. Mahfûzurrahman Zeynullah. Riyad: Dâru Taybe, 1985.

İbnü'l-Cevzî, Ebü'l-Ferec Abdurrahman b. Ali. *Garîbü'l-hadîs*. Thk. Abdülmu'tî Kal'acî. Beyrut: Dârü'l-Kütübi'l-ilmiyye, 1995.

Belâzurî, Ahmed b. Yahyâ b. Câbir b. Dâvûd. *Futûhü'l-büldân*. Beyrut: Dâr ve Mektebetü'l-Hilâl, 1988.

İbn Manzûr, Muhammed b. Mükerrem. *Lisânü'l-'Arab*. Beyrut: Dâru Sâdr, ts.

Kehhâle, Ömer Rızâ. *el-Mer'etu beyne'l-kadim ve'l-hadîs*. Müessesetü'r-Risâle, 1979.

Hâkim, Ebû Abdillâh Muhammed b. Abdillâh. *el-Müstedrek ala's-Sahîhayn*. Thk. Mustafa Abdülkâdir Atâ. Beyrut: Dârü'l-Kütübi'l-ilmiyye, 1990.

Ahmed b. Hanbel. *el-Müsned*. Thk. es-Seyyid Ebü'l-Ma'âti en-Nûrî. Beyrut: 'Âlemü'l-kütüb, 1998.

Ahmed b. Hanbel. *el-Müsned*. Kahire: Müessesetu Kurtuba, ts.

İbrâhim Mustafa v.dğr. *Mu'cemü'l-vasît*. Kâhire: Dârü'd-Da've, ts.

Vâkıdî, Muhammed b. Ömer. *el-Magâzî*. Thk. Marsden Jones. 3. Baskı. Beyrut: 'Âlemü'l-kütüb, 1984.

Mustafa es-Sibâ'î. *Min ravâi'i hadâratinâ*. Riyad: el-Mektebetü'l-İslâmî, 1999.

Sâmir Hatâmleh. "el-Menhecü'n-nebevî fî idâreti'l-a'mâl". *Mecelletu Câmi'atü'l-Kudüs el-Meftûha.* (2016).

Salâhaddîn el-Müneccid. *en-Nezmü'd-diplomâsiyye fi'l-İslâm*. Dârü'l-Kitâb li't-tibâ'a ve'n-neşr, 1983.